مجلد ٥ - عدد ١٧

فبراير ١٩٤٧

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

فهرس

طه حسين	ماوراء النهر (قصة) [يتبع]	٧
محمد رفعت	حديث الامبراطورية البريطانية	٢٣
محمود عزمي	بلاد المغرب	٣٣
محمود تيمور	سائح في العالم الجديد	٣٩
علي محمود طه	أندلسية (قصيدة)	٥٢
طه الحاجري	فصول لم تنشر من آثار الجاحظ	٥٥
طه الراوي	رأي في ترتيب المعجم العربي الحديث	٦٣
سلامه موسى	إهتماماتي ودراساتي العلمية	٦٩
محمد عبد الله عنان	مسألة الهند وقضية الباكستان	٧٨
س . د . غيوطاين	جولدتسيهر أبو الدراسات الاسلامية	٨٥
إتيامبل	التروبادور وشعراء الأندلس	٩٦
عبد الرحمن صدقي	بعد انقضاء عامين (قصيدة)	١٠١
فرانز كفكا	طبيب القرية (قصة)	١٠٣
مراد كامل	حول مشروع بحيرة طانا	١١٠
فخري شهاب	اللحن الضائع (قصة)	١١٩
عبد الرحمن الخميسي	إنطلاق (قصيدة)	١٢٤
محمود الدسوقي	الأختان (قصة)	١٢٦
أحمد فكري	خطرات في الفنون الجميلة	١٢٩
عباس أحمد	قصة سلامان وأبسال	١٤١

من هنا وهناك (بشر فارس — علي حافظ)

شهرية السياسة الدولية — شهرية المسرح والسينما — من كتب الشرق والغرب

من وراء البحار — ظهر حديثاً — في مجلات الشرق — في مجلات الغرب

تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

القاهرة

الكاتب المصرى

ربيع الأول ١٣٦٦ — فبراير ١٩٤٧

السنة الثانية — مجلد ٥ — عدد ١٧

ما وراء النهر [1]

وأنت بالطبع عجل ، تريد أن ترى صاحب القصر . وأنا مثلك عجل أريد أن أراه ؛ لأن الأمد بينه وبيني قد بعد وأسرف فى البعد . والشاعر نفسه يريد أن يلقاه منذ سمع من نعيم ما سمع ، وعرف من أمر الأسرة ما عرف ، وروعه من هذا الطلاق ما روعه . وهو من أجل ذلك حريص على أن يسرع الخطو ، لولا أن إسراع الخطو لا يليق بالشيوخ ، الذين أفناهم مر الغداة وكر العشى ، وعطفتهم الأيام على العصا ، وعلمتهم المشى على ثلاث ، فخطوهم متقارب ، وسعيهم بطئ . وشاعرنا حريص دائماً على أن يكون شيخاً متهالكا ، قصير الخطو بطئ السعى . وهو على ذلك كله عجل يريد أن يلقى صاحب القصر ، فيسمع منه ويقول له . وهو من أجل ذلك لا يمد الخطو لأنه لا يستطيع ، أو لا يريد أن يستطيع أن يمد الخطو ، وإنما يتعجل على أسلوبه فى التعجل ، فيسعى إلى أمام ، لا يقف كما تعود أن يقف دائماً أمام آيات الفن هذه الرائعة التى نسقت فى أبهاء القصر تنسيقاً ليس أقل منها روعة وجمالا .

والشاعر متعود ألا يمر بهذه الآيات مرًّا سريعاً أو بطيئاً ، دون أن يقف عندها ، ملقياً إليها تحيات الاعجاب والحب ، واقفاً عند هذا التمثال مطيلا إليه النظر ، مهدياً إليه الحديث ، منتظراً منه الجواب ، وواقفاً عند هذه الصورة محللا معللا ، مستوحياً مفتوناً . وواقفاً عند هذه القطعة أو تلك من قطع الأثاث الفخم القديم ، يلتهمها بعينه التهاماً ، ويداعبها بيده مداعبة رقيقة ، يصنع ذلك كل ما دخل القصر ليلقى صاحبه فى مكتبه أو فى حجرة من حجرات الاستقبال .

---

(١) الكاتب المصرى عدد ١٤ و ١٥ و ١٦ (نوفمبر — ديسمبر ١٩٤٦ ، يناير ١٩٤٧) .

لا يمنعه من ذلك مانع مهما يكن . ولا يصرفه عنه صارف مهما تكن الظروف وهو من أجل ذلك ينفق وقتاً غير قصير منذ يبلغ أرق سلم القصر إلى أن يصل إلى صاحبه ، سواء كان على موعد أم زار على غير ميعاد ، وربما ضرب لصاحب القصر موعداً للقاء فى الساعة الحادية عشرة ، ولكنه يقول ضاحكا على أنى سأكون هنا قبل أن تبدأ الساعة العاشرة ؛ وربما نسى الموعد نسياناً تاما ، وانتظره صاحب القصر ، فلما طال عليه الانتظار خرج يلتمسه فى هذا البهو أوذاك ، فوجده قائماً أمام صورة ، أو تمثال ، أو أثاث ، وقد استأثر به إعجاب ينتهى إلى شئ يشبه الذهول . ذلك أن هذا القصر ، ليس كغيره من قصور الأغنياء المترفين ، يزدان بفخامته وضخامته ، وامتلائه بالأثاث الفاخر الكثير قد نسق على وجه يلائم الذوق أو لا يلائمه ، ولكنه يدل دائماً على ضخامة الثروة ، وكثرة المال ، وحب الانفاق ؛ وإنما هو قصر له فخامته وضخامته ، ولكنه أشبه بالمتحف منه بالقصر . فليس فيه إلا ما يروق النفس ، ويلذ العين ، ويملأ القلب رضا وإعجاباً ؛ قد جمعت فيه آيات من الفن . على اختلاف هذا الفن فى النوع ، وفى العصر والطراز : ففيه القديم والحديث وما بين ذلك ، من آيات المثالين والمصورين ، ومن آيات العصور البعيدة التى يتحدث عنها التاريخ القديم ، وفيه من طُرَف الأثاث ضروب وألوان ، بحيث لا يستطيع ذو الذوق المترف أن يدخله إلا لقى فيه فتنة أى فتنة ، وبحيث يستطيع ذو الذوق المترف أن يزوره مصبحاً وممسياً فى كل يوم من أيام الأسبوع ، دون أن يقضى عجبه أو إعجابه بما فيه من هذه الروائع والآيات . فاذا مر الشاعر قصير الخطو بطئ السعى بهذه الآيات والروائع ، غير واقف عندها ولا مطيل نظره إليها ، فذلك الدليل كل الدليل على أنه معجل حقاً ، وعلى أن الذى يعجله عما أحب وما سيحب دائماً ، لا يمكن أن يكون إلا أمراً ذا بال .

ومما يدل على أن الشاعر كان معجلا حقا ، وعلى أنه كان أشد عجلة منك ومنى إلى لقاء صاحب القصر ، أنه انتهى إلى البهو الذى ينبسط أمام المكتب ، وهم أن يمضى إلى المكتب فيطرق بابه طرقاً خفيفاً ، دون أن يقف وقفته تلك الطويلة ، أو يدور دورته تلك البطيئة ، حول هذه الكتب التى نسقت أجمل تنسيق وأدقه إلى هذه الجدران العراض المرتفعة ، ودون أن يمر يده فى كثير من الحب والهيام على صفوف هذه الكتب ، كأنما يحييها بيده تحية تشبه عطف

الأب حين يمسح رأس ابنه فى كثير من الحنان . وربما أخذ منها كتاباً ، فجمع يديه حول دفتيه ، ثم فتحه ونظر فيه قائماً فأطال النظر ، ثم آثر صحبة الكتاب على لقاء صديقه ، فانحاز إلى زاوية من زوايا البهو ، وفرغ لكتابه منصرفاً إليه عن كل شئ وعن كل إنسان ، حتى يأتى صديقه ، فيفرق فى عنف أو فى رفق بينه وبين هذا الكتاب الحبيب . ولكنه فى هذه المرة لم ينظر إلى الكتب ، كما أنه لم ينظر إلى التماثيل والصور ، إلا لنظرات قصاراً خاطفة ، ومضى أمامه مستأنياً ، يريد باب المكتب ليطرقه ويفتحه ويغلقه من دونه حين يسمع الاذن له بالدخول . غير أنه لم يمكّن من الوصول إلى الباب ؛ فقد لقيه الخادم مكبراً له حفيًّا به ، ولكنه يؤذنه بأن سيده لن يلقى أحداً الآن ، لأنه خالٍ فى هذه الساعه إلى ضيف قد أقبل منذ حين .

ولست أدرى أرضى الشاعر عن هذا الحجاب أم ضاق به ، ولكنى أعلم أنه تحول فى بطء إلى صف من صفوف هذه الكتب ، فحياه بطرفه ، ثم مسحه بيده ، ثم استخرج منه كتاباً ، وانزوى فى ناحية من نواحى البهو ، وجعل ينظر فيه مقبلا عليه غير فارغ له مع ذلك ، بل رافعاً رأسه ومديراً طرفه فى البهو من حين إلى حين ، كأنما كان يترقب أن يخلو له وجه صديقه هذا الذى جعل أمره يتعقد منذ اليوم .

وما أحب أن أقتحم الباب الذى لم يقتحمه الشاعر ، وأن أدخل بك على صاحب القصر خالياً إلى ضيفه ؛ لا لأنى أخشى أن يردّنا الخادم عن هذا الباب مكبراً لنا حفياً بنا كما رد الشاعر ، أو ناهراً لنا متعللا علينا ، كما كان خليقاً أن يصنع بكل من يحاول اقتحام هذا الباب .

فأنت وأنا مطمئنان إلى أننا نستطيع أن نقتحم الباب دون أن يشعر بنا هذا الحاجب ؛ لأن الفن قد منحنا هذه القلنسوة السحرية التى تخفينا على عيون الحجّاب والرقباء ، وتتيح لنا أن نذهب حيث نشاء ومتى نشاء وكيف نشاء ، دون أن يستطيع أحد لنا ردًّا أو صدًّا ، بل دون أن يستطيع أحد أن يفطن لنا أو أن يشعر بمكاننا .

ولست أدرى لماذا لا يتنبه القراء إلى هذه الخصلة الرائعة من خصال الفن ، وإلى قدرته على أن يخفى الكاتب وقراءه على العيون والأسماع ، وسائر أدوات الحس والشعور ، بل على أن يتيح للكاتب وقرائه قدرة هائلة يلغون

بها مسافات الزمان والمكان ، وما يقوم فى الزمان والمكان من عقبات تحول بين الناس وبين أن يروا ويسمعوا ويعلموا مايريدون أن يروا وأن يسمعوا وأن يعلموا . فنحن نستطيع من غير شك أن ننسل إلى داخل المكتب دون أن يشعر بنا أحد ، وأن نرى صاحب القصر وضيفه ، ونسمع ما يدور بينهما من حديث دون أن يأذنا بدخولنا عليهما أو مكاننا منهما . بل نحن نستطيع أن نرق إلى أى عصر من عصور التاريخ وما قبل التاريخ ، فى أى قطر من أقطار الأرض ، فنرى ونسمع ونعلم ما نريد . كما أننا نستطيع أن نسبق الزمن ، وأن نمضى فى أعماق المستقبل ، إلى حيث نحب أن نمضى فى أى قطر من أقطار الأرض ، بل فى أى نجم من نجوم السماء ، لا يحدّ قدرتنا على ذلك إلا ما نريد نحن لا ما تريد الأحداث . وبعبارة أدق : يستطيع الكاتب وحده أن يفعل هذا كله وأن ينبى قراءه إن أراد بما رأى وما سمع وما علم ، أو ببعض ما رأى وما سمع وما علم .

فأنا قادا إذن على أن أتجاوز باب المكتب ، وأشارك فى زيارة هذا الضيف لصاحب القصر . ولكنى لا افعل لسببين : أولها يتصل بالأخلاق ؛ فأنا لا أحب اقتحام الأبواب ، ولا التسمع على الناس حين يتحدثون . وأبغض شئ إلىّ التطفل والوغول . ولن أغير من أخلاقى شيئاً لأرضى القراء ، مهما يكن حرصى على رضاهم ، ومهما يكن لرضاهم من خطر . والثانى يتصل بالفن ؛ فقد يحسن أن أعرّف صاحب القصر إلى القراء قبل أن أدخلهم عليه ، حتى لاأفجأهم به وبضيفه و بما يديران بينهما من حديث . ذلك أجدر أن يهيئهم للقائه عن علم به ومعرفة لخصاله ، لفهم ما يصدرعنه من أعمال نابية ، وأقوال نائية عما يلائم الرشد والصواب

والقراء بعد ذلك ليسوا خيراً من الشاعر الذى هو صديق حمم لصاحب القصر . و إذا كان هذا الشاعر قد رضى أن يُرَدّ عن صديقه ، وقبل أن ينتظر حتى يخلو له وجهه ويؤذن له بالدخول ، فليس على القراء بأس ، من أن ينتظروا كما انتظر .

والشاعر يستعين على الانتظار بالكتاب الذى ينظر فيه ، فليستعن القراء على الانتظار بما أسوق إليهم عن صاحب القصر من حديث . وقد لا يكون هذا الحديث ممتعاً إمتاع هذا الكتاب الذى ينظر فيه الشاعر ، ولكنه سيكون على كل حال كلاماً يقرأ . وما أ كثر ما يفرغ القراء للكلام المكتوب

الذى يساق إليهم فى كل يوم ، على ما يكون فيه من سخف ، وعلى ما يكون له من قيمة و إمتاع !

ورءوف صاحب القصر شيخ تقدمت به السن شيئاً ، ولكنها لم تبلغ من قوته ولا من شباب قلبه وجسمه شيئاً ، و إنما هو رجل طوال ، يميل إلى البدانة أكثر مما يميل إلى النحافة ، وهو رائع الطلعة ، رائق المنظر ، لاتقتحمه العين ، و إنما تتصل به فتطيل الاتصال ، تجد شيئاً من اللذة فى النظر إلى وجهه الذى لا يخلو من جمال مهيب ، والذى تضطرب فيه عينان صغيرتان نفاذتان ، فيهما شئ من حدة ، ولكنهما تصوران هدوءاً ودعة وثقة ، تقرأ فيهما الايمان بالنفس ، والشك فيما عداها ومن عداها من الأشياء والناس . وتقرأ فيهما الرضا المطمئن عن النفس ، والسخط على من عداها وما عداها من الأشياء والناس . وتقرأ فيهما أن لصاحبهما ضميراً مرناً أشد المرونة ، يسيراً أعظم اليسر ، يؤثر نفسه بكل شئ ، و يرى أن الحياة لم تخلق إلا له ولم توقف إلا عليه ، وأنه إنما يحتمل مشاركة الناس له فيها احتمالا ، ويطيقها عن تفضل وتطول .

تقرأ فى هاتين العينين الأثرة فى أبشع صورها ، وفى أظرف صورها أيضاً . وهذه القراءة لا تكذبك ولا تغرك عن الحقيقة الواقعة ؛ فصاحبنا أثرٌ كأبشع ما تكون الأثرة ، وكأظرف ما تكون الاثرة فى وقت واحد . يندفع إلى ما يريد فى غير هوادة ولا أناة ولا إسماح ، لا يقبل أن تقوم بينه وبين ما يريد عقبة مهما تكن طبيعتها ، ومهما يكن مصدرها . وهو من أجل ذلك غضوب ، جامح الغضب ، عنيف مسرف فى العنف ، لا يروض الصعاب حين تعرض له ، و إنما يحطمها أو يحطم نفسه من دونها . وهو من أجل ذلك يمر حتى لا يسيغ مذاقه أشد الناس رياضة لنفسه على احتمال المكروه والصبر على الأذى ومراس أصحاب العنف والجماح .

ولكنه على ذلك تحلو شمائله ، وتحسن أخلاقه ، وترق حواشيه حين يقبل على اللذه ويأنس إلى الناس ، لايصدر فى عنفه ولينه عن بغض للناس وحب لهم ، و إنما يصدر فيهما عن حب لنفسه و إيثار لها بما يراه خيراً ؛ يبتغى ذلك باللين ، حين يكون اللين سبيلا إليه ، ويبتغى ذلك بالعنف حين لا يكون من العنف بد. وهو على كل حال أقل الناس حظّا من القصد والاعتدال . لاتراه يوماً

أو ساعة على خلق سواء ، و إنما هو مندفع فى الغضب حتى يصرف الناس عنه ، أو مندفع فى الرضا حتى يتهالك الناس عليه . وأصل ذلك فيما يظهر أنه كان وحيد أبويه ، قد ولد فى بيئة ناعمة مترفة ، موفورة الحظ من الثراء ، قد يسّرت لها الأمور كلها تيسيراً ، ولم يولد له إخوة يشاركونه فى حب أبويه له ، وعطفهما عليه ، وحرصهما على تدليله وتنويله كل ما تطمح إليه شهواته الجامحة أو تطمع فيه أهواؤه التى أرسلت على سجيتها إرسالا . وقد وصف الشاعر القديم بعض الممدوحين بأنه لم يقل «لا» قط إلا فى تشهده ، وبأن لاءه كانت خليقة أن تكون «نعم» لولا تشهده و إيمانه بالله . و يمكننا أن نقول إن صاحبنا هذا لم يسمع «لا» قط فى صباه ولا فى شبابه إلا حين كان يتعرض لما كان يمكن أن يسوءه أو يؤذيه . ومع ذلك فقد كان أبواه والموكلون بخدمته لا يصدونه عما يسوءه ، ولا يردونه عما يؤذيه إلا فى كثير من الرفق والاحتيال ، وفى ألوان من الترغيب والاغراء ، بحيث لم يكن يشعر أن هذه الكلمة البغيضة كلمة «لا» تقال أو توجه إليه. لم يكن يسمع هذه الكلمة ، ولكنه كان يقولها كثيراً : يقولها لأبويه ، ويقولها لخدمه ويقولها لأترابه حين يلقى أترابه ، وكان هؤلاء جميعاً يسمعون منه هذه الكلمة ، فيرضون عنها ، ويبتهجون بها ، ويستجيبون لها . ولذلك نشأ على حب هذه الكلمة حين يجرى بها لسانه هو ، وعلى بغضها حين يجرى بها لسان غيره من الناس .

وكان من الطبيعى ألا يعرف المصاعب ، ولا يمرن على رياضتها وتذليلها . وكان من الطبيعى كذلك ، ألا يفهم كيف يمتنع عليه غرض من الأغراض ، أو يفوته أمل من الآمال . كان مدللا كأقصى ما يكون التدليل ، مترفاً إلى أبعد حدود الترف ، سيئ الخلق من أجل ذلك كأسوأ ما يكون الخلق ، ضعيفاً كأشنع ما يكون الضعف ، عنيفاً كأبشع ما يكون العنف . وليس من الغريب بعد ذلك أن نلاحظ أنه ، وقد أنفق حياة فارغة ميسرة ، لم يتعلم إلا بمقدار ما استطاع ، و بمقدار ما أتاحت له هذه الحياة المدللة المترفة أن يتعلم . فهو لم يذهب إلى مدرسة ، وإنما سعى إليه المعلمون . وهو لم يذعن قط لمعلم أو أستاذ ، و إنما أذعن له دائماً أساتذته ومعلموه . منهم من وجد إلى قلبه سبيلا ، فألقى فيه بعض العلم وأودعه بعض المعرفة ، ومنهم من لم يجد إلى قلبا سبيلا ، فتملق أهواءه ونزواته ، وقنع من الجهد بما كان يتاح له من الأجر فى آخر الشهر .

وما ينبغى أن تغرك آيات الفن هذه التى نسّقت فى القصر أحسن تنسيق ،

ولا صفوف الكتب هذه التى ملأت هذا البهو العريض مما يلى مكتبه ؛ فهو لم يكسب من هذه الآيات ولم يجمع من هذه الكتب شيئاً ، وإنما وجدها فى القصر ، فلم يحفل بها أول الأمر ، ثم جعل يقف عند بعضها من حين إلى حين ، ثم فُتن بها فتنة مصدرها الغرور أول الأمر ، ثم أصبحت جزءاً من حياته ، لا يستطيع أن يستغنى عنها ، ولا يتصور أن يعيش دون أن يراها مصبحاً وممسياً .

ولم يكد يبلغ أول أطوار الشباب ، حتى استجاب لدعاء شهواته وغرائزه ، فعبث ما شاء له العبث ، وأفسد ما شاء له الفساد . وهمّ أبواه أن يكفّاه عن بعض ذلك فى تلطف ورفق ، فلم يبلغا منه شيئاً ، وإنما كان لومهما له إغراء ، ونصحهما له دفعاً إلى الغلو والاسراف . ثم أتيحت له الغربة ، ففارق القصر والربوة إلى ما حولها ، وطوف فى الآفاق الغربية ، وأقام فى العاصمة فأطال المقام ، ثم طوف فى الآفاق البعيدة ، وزار العواصم الكبرى ، وألم بمواطن الجد والهزل ، وعاد إلى أبويه فتى كامل الفتوة ، قد ردّته الحياة إلى شئ من القصد فى سيرته ملأ أبويه إعجاباً به ورضا عنه ، وأتاح له النظر فى شؤون الأسرة قليلا قليلا . ولم تمض أعوام حتى كان مستقلا بكل شئ ، متصرفاً فى كل شئ ، ملغياً أباه من كل جهد ، ناهضاً من دونه بكل عبء .

ولست أعرف شيئاً أشد تعقيداً ، ولا أكثر اختلاطاً ، ولا أعسر على الفهم من نفس الانسان ؛ فهى ملتقى المتناقضات ، وهى غريبة فيما يختلف عليها من الأطوار . لقد كان كل شئ فى صبا رءوف يؤذن بأنه سيكون فتى ضائعاً ، مضيعاً ، لا يغنى عن أسرته شيئاً ، وإذا هو يعود إليها فتى رشيداً إلى حد ما ، قادراً على النهوض بالأعباء ، نافذاً حين يتصرف فى الشؤون ، بعيد الحيلة حين يحتاج إلى بعد الحيلة . وكان هذا خليقاً أن يلقى فى روع الذين يعرفونه من قريب انه الفتى كل الفتى ، قد جمع من أخلاق الرجال ما ينأى به عما يعيب ، ويرتفع به عن الصغائر ، ويهيئه لجلائل الأعمال . وقد كان فيه من هذا كله شئ ، ولكنه على ذلك كان ضعيفاً أمام غرائزه ، متهالكا على لذاته . يسمو إلى الجليل من الأمر ، ويعنى مع ذلك بالصغائر وسفاسف الأمور عناية مؤذية . يضبط نفسه أحياناً ، فيبلغ من ضبطها ما يريد ، ويحملها من عظيم الأمر على ما يحب ، ثم يرسل لها العنان فجاءة ، فاذا هى تتابع الهوى حتى تجور عن القصد ، وتتورط فى أعظم الشطط .

وقد التمست الأسرة لابنها الزوج التى تلائم مكانه ، وجماله ، وثراءه ، فوفقت لما أرادت . وأصهر الفتى إلى أسرة صالحة ، وسعد بحياة زوجيه ناعمة ، ولكن هدوءها لم يتصل ؛ فقد كان رءوف صاحب نزوات طالما آذت زوجه ، وطالما آذته هو ، وطالما أرهقته وأرهقت زوجه من أمرهما عسراً . ويمكن أن يقال إن نعيما ابنه قد نشأ فى بيئة ظاهرها النعمة ، وباطنها النقمة . كل شى من حوله ميسر إلا أمر أبويه . فانه كان عسيراً أشد العسر ، ملتوياً أعظم الالتواء

وكل قارئ يستطيع أن يصور لنفسه حياة هذه القصور التى يملؤها الترف ، ويشيع فيها النعيم ، وتفيض من حولها السعادة . ولكنها تشتمل فى أعماقها على غرفة أو غرفتين من غرفات الجحيم ، لا يرى الذين يأوون إليهما فيهما إلا الشر كل الشر ، والنكر كل النكر ، والعذاب كل العذاب . ولم يكن قصر رءوف الذى نشأ فيه نعيم إلا واحداً من هذه القصور : سعادة ظاهرة ، وشقاء خفى . أب يلهو ما وجد إلى اللهو سبيلا ، وأم تشقى ما استطاعت المرأة أن تحتمل الشقاء ، وخصومة وعبوس حين يلتقى الزوجان ، ووفاق وابتسام حين يظهران للناس ، والصبىّ بين هذا كله يرى ويسمع ويحس ، ويسجل قلبه الصغير كل ما يرى ويسمع ويحس . وهو يؤثر أمه البائسة بالحب والرحمة والرثاء ، ويختص أباه الماجن بكثير من السخط واللوم ، ولكنه يخافه أشد الخوف من جهة ، ويعجب به أشد الاعجاب من جهة أخرى . يكره سيرته مع أمه ، ويرضى عن سيرته مع الناس ، ويعجب بسيرته مع نفسه ، ويتحدث إلى ضميره ، بأنه إذا شب فسيكون أبر بزوجه من أبيه ، ولكنه سيسير سيرة أبيه فى الناس ، وسيؤثر نفسه من متاع الحياة بمثل مايستمتع به أبوه . على أن رءوفاً لم ينشئ ابنه كما نشّأه أبواه ، وإنما أخذه بشئ من الصرامة والحزم ، فكان هذا أيضاً مصدراً للخصومة بينه وبين زوجه ، ومصدراً للتعقيد فى نفس الصبى الذى كان يجد من أمه اللين والاسماح ، ويجد من أبيه الصرامة والحزم ، فيرضى ويسخط ، ويحب ويبغض ، وتتعقد نفسه على مر الأيام تعقداً شديداً .

وقد كنت خليقاً أن أمضى معك فى الحديث عن حياة رءوف فى شئ من التفصيل ، وعن نشأة نعيم فى شئ من الاطناب ، لولا أن باب المكتب يفتح ويخرج منه رءوف متضاحكا ، يشيّع ضيفه إلى سلم القصر ، ثم يعود وهو لا يكاد يملك نفسه من ضحك يريد أن يملأ أبهاء القصر . فيصرف الشاعر عن كتابه ،

ويصرفني أنا عما كنت اقص عليك من حديث . وها هو ذا قد أقبل على الشاعر مغرقاً فى الضحك ، يقول فى صوت متقطع : ها أنت ذا ! لقد أطلت انتظارك منذ اليوم ، وإنى لراض عن اضطرارك ، إلى أن تنتظرنى كما انتظرتك . قال الشاعر وهو ينهض متثاقلا ، ويرد الكتاب إلى مكانه من الصف : لست أدرى أينا انتظر صاحبه ! لقد ذهبت إلى حيث تعودنا أن نلتقى ، فأنبئت بأنك تنتظرنى فى هذا المكتب . ولن أبلغ من الحمق وخطل الرأى أن أترك الجنة النضرة ، والسماء الصفو ، والجو الصحو ، والنهر الجميل ، لأحبس نفسى معك فى هذا المكتب وإن كان جميلا أنيقاً . على أنى لم أستطع حتى أن أستمتع بالخلوة إلى هذا الجمال وقتاً قصيراً ؛ فقد أقبل ابنك نعيم ، فنغص علىّ كل شئ . قال رءوف وهو يغرق فى الضحك : ابنى نعيم ! فهو إذن قد لقيك ، وقد ألقى إليك بسخافاته التى لا تنقضى ، والتى ليس لها رأس ولا ذيل . ولكن هلم ! ما قيامنا فى هذا البهو؟ أقبل ، لأحبسنك فى هذا المكتب الذى تكره أن تحبس فيه ، أقبل واجتهد فى ألا تنحنى على العصا إن استطعت ؛ فان نفسى ليست ميالة إلى شعر جرير ، أقبل واعدل قامتك إن استطعت إلى ذلك سبيلا . لعلك قد شربت قهوتك على ضفة النهر مستمتعاً بالجنة النضرة ، والسماء الصفو ، والجو الصحو ، والنهر الجميل ، أم تريد قدحاً آخر من القهوة ؟ ولكن النهار قد انتصف أو كاد ينتصف ، ولم يبق بيننا وبين الغداء إلا ساعة وبعض ساعة . ما تقول فى قدح من قهوة أخرى خير من قهوتك تلك التى احتسيتها على ضفة النهر الجميل ؟ ثم أعرق فى ضحك طويل ، والشاعر قائم واجم ينظر إليه ويسمع منه ، ولا يفهم عنه . فلما سكت عنه الضحك ، قال بصوت ضخم مرتفع : الشراب يا غلام . ثم عاد إلى ضحك متقطع ، وأخذ بذراع الشاعر وهو يقول : إعتمد على ذراعى إن شئت ، أو تعلق بها إن أحببت ، ودع عصاك لا تأخذها بيمينك ولا تنحن عليها ؛ فقد كان يقال لنا فى طور التأديب إن المهذبين من الناس لا يستصحبون عصيهم إلى حيث يستقبلون ، وإنما يتركونها فى مواضعها المقسومة لها حين يدخلون الدور أو القصور . هلم ! هلم ! ثم مضى يقود الشاعر وكأنه يحمله حملا ، ويعلقه فى الهواء تعليقاً ، حتى انتهى إلى مكتبه ، فأجلس الشاعر ، أو قل وضع الشاعر وضعاً على كرسى عريض وثير . وهمّ الشاعر أن يتكلم ، ولكن رءوفاً أومأ إليه أن لا يفعل ، وقال فى صوت هادئ بعض الشئ : لا تسألنى الآن

عن شئ ولا تحدثنى الآن بشئ ، وإنما أرح نفسك وارحنى من الحديث والاستماع ، حتى إذا أقبل الشراب وفرغنا من القدح الأول ، أخذنا فى الحديث ؛ فأنبأتنى بما عندك ، وما أرى أنك ستنبئنى بشئ ذى خطر ، وتحدثت إليك بما عندى ، وما أرى إلا أنى سأشغلك بقية يومك . فأسلف نفسك شيئاً من الراحة ؛ فانك ستستقبل بعض العناء . ثم انصرف عنه ، وجعل يذرع الحجرة ذاهباً جائياً ، مغرقاً فى تفكير عميق .

وأقبل الخادم يحمل قواريره وأكوابه ، وهمّ أن يملأ القدحين . ولكن رءوفاً قال له فى لهجة حلوة ، وعلى ثغره ابتسامة راضية : لا تشق على نفسك يابنىّ ، فسأقوم عنك بهذا الجهد ، ولكن امنع علينا بابنا ؛ فلسنا فى حاجة إلى الواغلين . فانحنى الخادم وانصرف وأغلق الباب من دونه . وأقبل رءوف على قواريره وأكوابه فصب ومزج ، وقدم إلى الشاعر قدحه وهو يقول :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فاشرب هذه على لذتك ، ثم أداويك منها بالأخرى .

قال الشاعر : إن أمرك لعجب منذ اليوم أتتخذ هذه الحجرة لنفسك سجناً منذ آخر الليل ، وتحظر على نفسك النزول إلى الحديقة والاستمتاع بصفاء السماء وجمال النهر ، ولا تصيب من طعامك شيئاً حتى يظن الخدم بك الظنون ، ثم ها أنت ذا الآن لا تملك نفسك ولا تضبط أمرك ، وإنما تندفع فى ضحك لعل البكاء . . . وهنا قاطعه رءوف قائلا : أن يكون خيراً منه . كلا يا سيدى كلا ! إنه الضحك الذى يصور الرضا ، والأمن ، وصفاء النفس ، واطمئنان القلب . ولكن ألم أقل لك إنا لن نتحدث حتى نفرغ من قدحنا الأول ! ثم قال بعد صمت قصير : بعداً للخدم! لاسبيل إلى أن نخفى عليهم شيئاً ، ولا سبيل إلى أن نكف ألسنتهم عن الحديث بعلم وبغير علم .

أكان الظمأ هو الذى دفعهما إلى الاسراع فى الشرب ، أم كان التلهف على الخمر هو الذى أغراهما باستنفاد ما فى القدحين ، أم كان تعجل الحديث هو الذى حثهما على أن يتعجلا إزالة ما بينهما وبينه من هذه العقبة الرائقة الشائقة التى لم يكن شئ أحب إليهما من إزالتها ؟ مهما يكن من شئ فقد أقبل كل منهما على قدحه شرهاً ، فلم تمض إلا دقائق حتى ارتويا هما ، وظمئ القدحان .

ونهض رءوف فأعاد إلى القدحين ريهما ، وأعاد إلى نفسه وإلى صديقه ظمأهما ، ولكنه كان ظمأ هادئاً مستأنيا لا عجلة فيه ؛ فأقبل كلا الرجلين على صاحبه يستبقان إلى الحديث استباقاً ، وأقبل كلا الرجلين على قدحه يحسو منه فى تمهل مثل حسو الطير ماء الثماد . قال رءوف متضاحكا : أما الآن فتستطيع أن تستمع لى يا أبت أو يا بنى ؛ فسنك وانحناؤك على العصا يجعلانك لى أباً ، وسذاجتك وسلامة نفسك تجعلانك لى ابناً ؛ فلى من غير شك أن أدعوك بأى الدعاءين شئت . استمع لى إذن ، وافهم عنى ولا تعجل على ؛ فانك لن تنبئنى بشئ أجهله . لقد أنبأك نعيم بحبه ، وثورتى على هذا الحب ، وإصراره على أن يمضى فيما بدأ ، وعطف أمه عليه ، ونطقى بهذه الكلمة التى تفرق بين الالفين . وكل هذا حق . ولكن النبئ الذى لم ينبئك به نعيم لأنه لم يكن يعلمه ، ولعله لايعلمه إلى الآن ، هو أن الستار قد أسدل على بعض هذه المأساة ؛ فقد اختطف الموت من نعيم هواه . ثم أطرق حيناً وأقبل على قدحه ، فحسا منه حسوة ورده إلى مكانه فى هدوء ، والشاعر واجم لايدرى كيف يقول ، كأنما سقطت عليه الصاعقة . قال رءوف : نعم ! ماتت خديجة ، قتلها أخوها انتقاماً لشرفه فيما يظهر ، كأن لأمثال هؤلاء الناس شرفاً نراق فى سبيله الدماء ، ويحتمل فى سبيله العقاب والعذاب . لقد تغيرت الدنيا وفسد الناس ، وهبت على هؤلاء البائسين من أهل القرية وأمثالهم ريح لا أدرى من أين جاءتهم ، ولكنها حملت إليهم شرًّا عظيما : علمتهم أن لهم شرفاً ، وأنهم يستطيعون أن يغضبوا لهذا الشرف ، وأن يسفكوا فى سبيله الدم ، ويتعرضوا فى سبيله للموت . ومن يدرى ! لعلها علمتهم ، أو لعلها أن تعلمهم أشياء أخرى ، ليست أشد من هذا نكراً . ولن أدهش إذا أنبئت غداً ، أو بعد غد ، بأن هؤلاء الناس يضيقون بخضوعهم لنا ، وتسلطنا عليهم ، ويرون أن لهم فى أنفسهم حقوقاً يدافعون عنها ، ويتكلفون فى الدفاع عنها ما لم يتعودا أن يتكلفوا ، وأن لهم فيما تخرج الأرض من الثمرات حقوقاً أكثر مما نعطيهم ، وأن لهم فى الحياة مطامع وآمالا لم تكن تخطر لهم من قبل . كل هذا ممكن ، وكل هذا خطير سيء العاقبة . لقد كنا نرى هؤلاء الناس يسعدون السعادة كلها حين تهبط إليهم أبصارنا وحين نختصهم بشئ من العطف ، أو نلقى إليهم شيئاً من التحية . لقد كان أعظم ما يطمحون إليه أن يرقوا إلى هذا القصر خداماً لأهله ، فاذا رقوا إليه وظفروا بالخدمة

فيه ، فأعظمهم حظًّا من السعادة ، أقربهم مكاناً من السادة . فأين نحن من هذا الآن ! أترى إلى ابنة الحذاء يؤثرها ابن سيدها بعطفه ويختصها بحبه ، ويمنحها مكاناً من قلبه ، فتنعم وتسعد ، وترى فى هذا الا يثار حلماً لم يكن يتاح لأمثالها ولكن أخاها ينكر ، ثم يغضب ، ثم يثور فيقتل أخته ... ولو قد استطاع لقتل معها شخصاً آخر . وهنا برقت عيناه بريقاً مخيفاً ، وجرت فى جسمه كله رعدة خفيفة ، لم يلبث أن ردها إلى الهدوء ، ثم أقبل على قدحه فألقى ما فيه فى جوفه إلقاء . ثم نظر إلى الشاعر نظرة حادة وهو يقول : إنك لقليل النشاط إلى الشراب ، أفرغ قدحك كما أفرغت قدحى . ولم يجب الشاعر كأنه لم يسمع منه . قال رءوف وهو يضرب بيده على المائدة : أتسمح لى أفرغ قدحك ، كما أفرغت قدحى ؟ أو قم عنى ؛ فلست فى حاجة إلى الجلساء الفاترين . وكان الشاعر يعرف صديقه حق المعرفة ، ويعلم أنه عنيف إذا غضب ، منكر السيرة إذا عربد على نديمه . فلم يكد يسمع طرق المائدة حتى هب من وجومه مذعوراً . ولم يكد يسمع نذير صاحبه حتى أسرع إلى القدح فصبه فى فمه صبا . قال رءوف وقد نهض متضاحكا : أما الآن فنعم . ثم أقبل على زجاجاته فصب ومزج ، وعاد إلى مجلسه هادئاً مطمئنًّا ينظر إلى قدحه متهالكا عليه .

قال الشاعر : لقد أنبأنى نعيم أنه أرسل فتاته أمس إلى العاصمة ، ليلحق بها اليوم فكيف . . . فقاطعه رءوف قائلا : كيف قتلها أخوها ، أو أين قتلها ؟ أدركها فى العاصمة ، وقتلها بملأ من الناس ، وأسلم نفسه للشرطة . واكبر الظن أنه كان يرقب أخته ، وأنه كان يعلم من أمرها كل شئ ، وأنه كان يدبر هذا الشر تدبيراً . والمهم أنه فعل فعلته ، وأنه بهذه الفعلة قد رد عنا شرًّا عظيما ، ونبهنا لخطر عظيم . أراحنا من هذا الزواج المنكر ، وقطع على نعيم طريق التمرد والعصيان ، ونبهنا إلى أن فى أمثاله من أهل القرية نزوعاً إلى شئ جديد ، فيجب أن نسير معهم سيرة جديدة ، وأن نلائم بين طموحهم هذا الطارئ وسياستنا لأمورهم

ولكن هذا حديث لم يحن حينه بعد ؛ فقد نستطيع أن نفكر ونروى متى أتيح لنا التفكير والتروية ؛ فأما الآن فقد يظهر أن لدينا ما يشغلنا من الأمر . ثم رفع القدح إلى فمه فكاد يأتى على نصف ما فيه . ثم أشار إلى الشاعر أن اشرب . قال الشاعر : إن لم تكن فى حاجة إلى عقلك ، فقد تكون فى حاجة إلى

بعض عقلى ؛ فأمهلنى ولا تشتط على . قال رءوف : أما أنا فشديد الحاجة إلى عقلى كله ، وإنك لتعلم أن الخمر أعجز من أن تذهب به . وأما أنت فلستُ فى حاجة إلى عقلك ؛ لأنى لا أريد منك روية ولا تفكيراً ولامشورة ، وإنما أريد منك طاعة وتنفيذاً للأمر وتحقيقاً لما أريد .

قال الشاعر : وعندك إذن أمر تريد أن تصدره إلى ؟ وما عسى أن يكون هذا الأمر ؟ قال رءوف : أتعرف لماذا حجبتك آنفاً ؟ قال الشاعر : لأنك كنت مشغولا ببعض الضيف . قال رءوف : ألم تر هذا الضيف ؟ ألا تعرف من هو ؟ قال الشاعر : لقد كنت مشغولا عنك وعنه بالنظر فى ذلك الكتاب . قال رءوف : فانه حاكم الاقليم ، قد أقبل يزورنى ، ويسألنى فى بعض حديثه عما سمع من أن نعيما معتزم أن يسافر إلى إيطاليا وغيرها من بلاد أوربا ، ليقضى عاماً أو أكثر من عام . قال الشاعر : فانى لم أسمع قط بشئ من حديث هذه الرحلة . قال رءوف : لم تسمع أنت ، ولكن حاكم الاقليم سمع ، وأقبل ينبئنى بما سمع . ويجب أن يتحقق ما سمع ، وأن يرحل نعيم إلى حيث يريد من بلاد الله ، فيغيب عن هذه الأرض عاماً أو أكثر من عام . فى هذه الرحلة تهدأ نفسه ، ويستقر قلبه بين جنبيه ، ويسترد شيئاً من صواب ، وينتفع بما تفرض الغربة على المغتربين من التجارب . أعدده إذن لهذه الرحلة ، ويسّر له أمرها ، واصحبه فيها إن شئت أو شاء ؛ ذلك أجدر أن يريح الأسرة من بعض اللغط ، وأن يرد عنها بعض الشر ، وأن يصلح بعض ما فى النفوس . ثم رفع القدح وأتى على ما فيه ، وأشار إلى الشاعر فلم يجد منصرفاً عن الطاعة ، فأفرغ قدحه . وهمّ رءوف أن يصب ، ولكن الشاعر استعفاه قائلا : لم أحتج قط إلى عقلى كما أحتاج إليه الآن . وإذا لم يكن للخمر سلطان عليك ، فان سلطانها علىّ عظيم . ثم نهض متثاقلا . قال رءوف : إلى أين ؟ قال الشاعر : إلى حيث ألقى نعيما ، ثم إلى حيث أصلح من أمرى ، ثم إلى حيث أنفذ ما تريد . قال رءوف : إن نعيما مسافر إلى العاصمة اليوم ؛ فاصحبه فى سفره ، وتحدث إليه أثناء الطريق . وما زال عندك فضل من وقت فأقم ؛ فما أريد أن أجلس وحدى إلى مائدة الغداء . ثم ضرب إحدى يديه بالأخرى ، فأقبل الخادم ، فأشار إليه أن يرفع أداة الشراب ، وقال له وهو ينصرف : إرسل إلىّ خليلا .

وخليل هذا كاتب من كتاب القصر ، أقبل بعد قليل ، فلم يكد ينحنى

ويلقى التحية حتى ابتدره رءوف قائلا : ألم أسمع أن شرًّا عظيما قد نزل ببعض أهل القرية ؟ قال خليل فى صوت خافت متهدج : هو محمود الحذاء أصيب فى ابنيه جميعاً ، قتل ابنه أحمد أخته خديجة ، وأسلم نفسه إلى الشرطة . قال رءوف : اذهب فواسه ، ويسّر له العسير من أمره ، وأعنه على الرحيل عن القرية إلى حيث يشاء إن أظهر رغبة فى الرحيل . قال خليل : الرحيل ! و إلى أين يمكن أن يرتحل ؟ قال رءوف فى صوت كاد يمتد ولكنه رده إلى الهدوء : إذهب فانفذ ما أمرتك به . فلم يستطع خليل إلا أن ينحنى ، ويحيى ، وينصرف . ولم يكد يغلق الباب من دونه حتى قال رءوف : بعداً لهؤلاء الموظفين ! ما أعظم حظهم من الغباء !

قال الشاعر وهو يشعل سيجارة : أما أنا فان لى من الغباء حظًّا ، ولكنه ليس عظيما فيما أظن . قال رءوف : وما ذاك ؟ قال الشاعر : إن لم أكن كهؤلاء الموظفين فقد يخيل إلىّ أنك تريد أن تحدث من حولك فراغاً ، وأن تعرض أمامك لوحة بيضاء كما يقال . فلم يجب رءوف ، و إنما استلقى فى أعماق كرسيه ، وأغرق فى صمت طويل ، ثم قال فى صوت يشبه صوت النائم : لا أريد إلا أن أستريح . قال الشاعر : وتريد أن يستصحب نعيم أمه فى سفره البعيد ؟ فأشار رءوف بيده إشارة المتعب المكدود ، وقال : هيهات ! ذاك شئ لاسبيل إليه . ستبقى حيث هى ؛ فانما هو لسان هفا فسبق بكلمة لا تقدم ولا تؤخر . وما أكثر ما يهفو الناس ثم يصلحون هفواتهم !

ولبث الرجلان فى مكانهما ثابتين مطرقين لا يديران بينهما حديثاً ، ولا ينظر أحدهما إلى صاحبه . ولو قد رآهما راء لقدر أن قد استحالا تمثالين جامدين . ثم أزعجهما عن سكونهما هذا طرق الباب ، ثم ظهور الخادم يدعوهما إلى المائدة .

وما أظنك تريدنى على أن أصحبهما إلى المائدة ، ولا على أن أرافقهما بعد غدائهما لأشهد ما يجرى حولها وحول الأسرة كلها من الخطوب . فأنت تستطيع أن تقوم مقامى فى ذلك ، وأن تتصور ما يحدث لهؤلاء الناس على اختلاف أشخاصهم وأمكنتهم من الأحداث كما تشاء ؛ فليس يعنينى الآن من أمرهم إلا أن الفتى قد ارتحل إلى أوربا ، وأن أمه قد استقرت فى مكانها من القصر ، وأن الشاعر قد عاد بعد رحلة قصيرة إلى العاصمة ، فاستقر فى جناحه المقسوم له واستأنف حياته كعهده قبل أن تحدث هذه الأحداث ،يلقى رءوفاً حين يرتفع

الضحى فيتنزه معه فى الحديقة ، أو يجلس معه على ضفة النهر ، أو يخلو معه فى مكتبه ، يتحدث إليه ويسمع منه ، وينشده من شعره ، ويقرأ له ما شاء الله أن يقرأ فى هذا الكتاب أو ذاك . وقد يلقاه إذا أقبل المساء فيستأنفان حياة كحياتهما فى أول النهار . والأيام تمضى مسرعة أو مبطئة ، وأكبر الظن أنها تمضى مسرعة بالقياس إلينا نحن لأن أيام القصص مسرعة دائماً ، كما كان يقول لنا الذين كانوا يقصون علينا الأحاديث أثناء الصبا ، وتمضى مبطئة أشد البطء بالقياس إلى الذين يحيونها بالفعل ، إذا ألمت بهم النوازل أو ألح عليهم الشقاء ، وتمر مر السحاب بل أسرع من مر السحاب ، إن أتيحت لهم حياة ناعمة راضية . وقد مضت الأيام على هؤلاء الناس مبطئة ومسرعة ، ولكنها مضت على كل حال ؛ لأن من طبيعة الزمن أن يمضى دائماً ، وهو لا يعرف الوقوف كما أنه لا يعرف الاسراع ولا الابطاء ، وإنما هو يمضى على نسق واحد نراه نحن سريعاً حيناً وبطيئاً حيناً آخر .

وفى ذات ليلة جلس الصديقان فى جوسقهما ذاك على شاطئ النهر يتحدثان فى هدوء ودعة ، وقد سكن من حولها كل شئ إلا هذا النهر الذى يجرى فى يسر ، وتصطفق أمواجه فى خفة وعذوبة ، وإلا هذه الغصون التى يداعبها النسيم ، فيسمع لأوراقها هفيف وحفيف ، وإلا هذه الضفادع التى تسكن حيناً ، ثم تنق كأنها تنتظر من الليل شيئاً ، فاذا أبطأ عليها أو التوى بما تنتظر منه جارت بالسؤال والالحاح ، ثم ثابت إلى الدعة والسكون ، ثم استأنفت دعاءها ونداءها وإلحاحها .

ولست أدرى فيم كان الصديقان يتحدثان ، ولكنى أعلم أن رءوفاً قطع الحديث فجأة ومس كتف الشاعر فى رفق ، ثم قال له : أنظر إلى ما وراء النهر أترى شيئاً ؟ فمد الشاعر طرفه ثم رده ، ثم قال : تريد هذه النار التى تتألق على هذه القمة ؟ قال رؤوف : نعم ، متى عهدك بها . قال الشاعر : منذ أشهر . قال رءوف : ولم تكن تراها قبل ذلك ؟ قال الشاعر : لا أعلم أنى رأيتها قبل أن تلم بنا تلك الأحداث . وهنا أطرق رءوف إطراقة طويلة . ثم قال : أما أنا فأعرف متى رأيتها لأول مرة . أتذكر تلك الليلة التى أنفقتها فى مكتبى ساهراً أنتظر الصباح ! فى هذه الليلة رأيت هذه النار تتألق من وراء النهر . ولست أدرى لماذا وصلت نفسى الحائرة بين ظهور هذا اللهب المضطرب ، على هذه القمة

الساكنة ، وبين مصرع تلك الفتاة التي أغواها نعيم ، وقتلها أخوها في العاصمة على ملأ من الناس . لقد ألقى في روعي ليلئذ أن هذه الفتاة قد عبرت النهر لتستقر في حيث يستقر الذين يعبرونه دائماً ، وأن بين هذه الفتاة في دارها النائية وبين دارنا هذه أسباباً لم تنقطع وأوطاراً لم تنقض ، فهى تشير بهذا اللهب ، الذى يخفق دائماً ، ولكننا لا نراه إلا حين يجن الليل . إلى ما بينها وبيننا من أسباب وأوطار .

قال الشاعر وهو يرفع القدح إلى فمه : تفسير لابأس به . إنك لتعلم أن ما وراء النهر أشد غموضاً من أن تنفذ إليه أفهامنا . وطالما سألت النهر عما وراءه فلم ينبئ بشئ . قال رءوف : أما أنا فما أشك في صدق ما أحدثك به ، وإلا فما بال هذا اللهب لم يخفق ، وما بال أعيننا لم تره إلا منذ صرعت تلك الفتاة ! ولكن في الأمر ما هو أشد من هذا غرابة وأعظم خطراً . أتعلم أني أجد في خفق هذا اللهب شيئاً يشبه أن يكون دعاءً لى ، وأن نفسى تنازعنى إلى أن أعبر النهر ؟ قال الشاعر : حسبك! فانى أخشى على عقلك الاختلاط . ولو علمت أنك تسمع لى إن أشرت عليك ، لقلت إن حاجتك إلى الرحلة والاغتراب ليست أقل من حاجة نعيم . قال رءوف في صوت يشبه أن يكون همساً ، وقد مال إلى أذن صاحبه كأنما يريد أن يسر إليه : فانك لا تعرف من القصة كل شئ . قال الشاعر : وفى القصة إذن شئ غير ما علمت ؟ قال رءوف : نعم ، فى القصة أن هذه الفتاة كانت قد وقعت من نفسى موقعاً غريباً ، قبل أن يفتن بها نعيم .

طه حسين

(يتبع)